الديانة الهندوسية بين الروحانية والتعصّب الديني

Hinduism between spirituality and religious intolerance

أ. د. لمير طيبات
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
هدى بن لحرش[1]
طالبة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
houdab697@gmail.com:.

تاريخ الوصول: 2017/09/11/ القبول: 2019/05/27/ النشر على الخط:2019/06/15
Received: 11/09/2017 / **Accepted**: 27/05/2019 / **Published online**: 15/06/2019

ملخص الدراسة:

تُعرف الهند ببلاد التنوع، والديانة الهندوسية هي المعتقد الأكثر انتشارا وإتباعا فيها باعتبارها –الهندوسية– واحدة من أقدم الديانات الباقية التي مازالت حيّة تُمارس اليوم في العالم. يُطلق الهندوس على الديانة الهندوسية باسم سانتانا دهارما الذي تعني الحقيقة الأزلية. ومن خلال النصوص المقدسة كنصوص الباجافادجيتا نجد أن الهندوسية تفسح مجال واسع أمام المرونة الداخلية والتنوع. وهي تلقي الضوء على طريقة السلوك التي ينبغي للهندوس إتباعها.

الكلمات المفتاحية: الهند.الهندوسية. التعصب.الفيدية.براهما.الكارما.

Summary:

India is a land of diversities. Its known as the land of spiritually and philosophy. The major religions of India are Hinduism, and it is one of the ancient religion in the world. It is also known as “Sanatan Dharma” or everlasting religion.

Hinduism is a very tolerant religion, because people who live in it are from difference faith. India is probably the only country in the world which faces such large number of communal clashes probably because Hindus are majority in India.

Keywords: India.hinduism.intolerance.vedas.brahma.karma.

[1] – المؤلف المرسل: هدى بن لحرش، الإيميل: houdab697@gmail.com:.

مقدمة:

تُعرف الهند بأنها بلاد التعدديات الإقليمية والدينية والعرقية والثقافية واللغوية، بمعنى أنها تتضمن أكبر عدد من التناقضات من بين دول العالم ككل. فقد عرفت بالدرجة الأولى تعدد المعبودات والمعتقدات وتنوعها حتى أطلق عليها اسم أرض الآلهة، واختلفت الديانة من منطقة إلى أخرى وتعددت المعبودات في المنطقة الواحدة حتى قيل: إن الهند عرفت جميع أنواع العقائد والفلسفات تقريبا. والسبب في ذلك هو انفتاح هذا البلد على المحيط ما جعلها تتأثر بالشعوب المجاورة لها.

لكن طبيعة تسارع الأحداث في العصر الحالي وما تشهده من توتر وحروب على مستوى الأمم والشعوب بسبب قضايا عالقة ساهم العالم أجمع في تزايد حدّتها، أصبح العالم الآن يعيش مشكلات كبيرة تهدد وجود الإنسان وتضر بالكثير من حقوقه. والهند كبلد يضم العديد من الأديان والكثير من المعتقدات لم يسلم من هذه التوترات. ولم تظهر هذه التوجهات العنصرية كظاهرة جديدة في الهند، بل هي موجودة منذ القدم باعتبارها رد فعل على الأقليات أو المجموعات غير المفهومة لأولئك العنصريين. فقد كان التهديد والغموض والقلق الذي تتسبب به هذه المجموعات تؤدي بالضرورة إلى رد فعل وهذا قد يكون بدافع التعصب. لكن اليوم، أصبح العالم يعيش الاختلاف كأسلوب في الحياة ولم يعد أمر خطير يهدد حياة الإنسان ووجوده. كما لا يخفى على الباحث في الأديان معرفته أن الهندوسية ليست مجرّد ديانة، وإنما هي طريق للحياة التي تنظم حقوق أتباعها وواجباتهم الروحية. كما أنها مصدر للتقاليد القديمة والعقائد والعبادات والتأملات الروحيّة في الإله والكون والطبيعة، وهي توفر بدرجة كبيرة القيّم السامية والآداب والسلوك والأخلاقيات البشرية المختلفة لأتباعها والمعجبين بتعاليمها. فهي تمثل نزعة إنسانية أكثر منها دين، تحث متبعها على الكمال ولا ترضى بغيره كاختيار في هذه الحياة، وذلك من خلال الكتب المقدسة التي تعتمدها في سبيل تحقيق ذلك.

من خلال هذا التمهيد البسيط أحاول معالجة أو دراسة الموضوع من خلال الإشكالية التي مفادها: ما هو مفهوم التعصب الديني؟ وما هي الحلول المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة من خلال النصوص المقدسة الهندوسية ؟

1 _ لمحة عامة عن الديانة الهندوسية ومفهوم التعصّب الديني

1_1- الهندوسية ونشأتها:

الهندوسية ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، قامت على أنقاض الفيدية* وتشربت أفكارها، وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة الهندية قبل دخول الآريين، ومن أجل هذا عدّها الباحثون امتدادا للفيدية وتطورا لها. وتسمى الهندوسية أو الهندوكية، إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم. وأطلق عليها البرهمية ابتداءا من القرن الثامن ميلادي نسبة إلى برهما

Brahma وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين. ومن برهما اشتقت الكلمة "البراهمة" لتكون علما على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وهم لهذا كانوا آلهة الأمة لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم[1].

وقد عمدت البرهمية فيما بين عامي 800ق.م_400ق.م إلى عقائد جديدة أهمها القول بالتثليث، فعبدوا آلهة ثلاثة : الإله برهما وهو الخالق وهو أصل الآلهة، والإله فشنو وهو الإله الحافظ المجدد، والإله سيفا وهو الإله المدمر المخرب. كما ظهرت بينهم أيضا في هذه الفترة عقيدة التجسّد وحلول الإله في الإنسان حيث اعتقدوا بحلول الإله فشنو في "كرشنا" وهو أحد ملوك شمال الهند[2]. ولم يسجل تاريخ الأديان اسم شخص معين يُنسب إليه تأسيس الديانة الهندوسية، كما هو الحال في أديان الهند الكبرى، فالبوذية أسسها " بوذا"، والجينية أسسها " المهابير سوامي"، والسيخية أسسها "كرونانك". يقول الدكتور رادها كريشنا وهو أحد فلاسفة الهندوس المعاصرين، تولى في الخمسينيات رئاسة جمهورية الهند، يقول: "إن الديانة الهندوسية لا تنتمي إلى شعب من الشعوب، بل هي ثمرات لتجارب الأمم التي أدت دورها في تكوين الفكر الهندوسي"[3]. بالإضافة إلى ذلك، فإن الكتب الهندوسية مرّت في تصنيفها بمراحل وأدوار هي:

- الدور الأول: أول عمل قام به العلماء الهنود هو استكمال تأليف الفيدات الأربعة {الريج فيدا، ياجور فيدا، سام فيدا، أثار فيدا}، وكلمة الفيد كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة "ود" ومعناها العلم والمعرفة.
- الدور الثاني: عصر المتكلمين الهندوس، فإنه قد توجه جماعة من العلماء المتكلمين إلى تأليف كتب أبانيشاد أو اليوبانيشاد* وهي في الحقيقة خلاصة لفلسفة الفيدا، وتشمل هذه الكتب على مبادئ التصوف من الذّكر إلى الغناء، فجميع أحكام التصوف دونت في هذه الكتب.

---

*_ الفيدية: هو اسم يُطلق على الأسفار المقدسة لدى الهندوس، وتعني المعرفة أو العلم. نقلا عن: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1964، ص 156.

[1]_ أحمد شلبي: مقارنة الأديان 4: أديان الهند الكبرى، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1984م، ص37.

[2]_ أحمد علي عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان: دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2004م، ص134.

3_ محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2003م، ص529.

*- أي المحاورات السرية وهو كتاب يتضمن تأملات لاهوتية سادت ذلك العصر. نقلا عن: ول ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، ترجمة زكي نجيب محمود، دط، ددن، بيروت، لبنان، ج3، مج 1،د س ن، ص 154.

- الدور الثالث: دور الفقهاء الذين وجهوا عنايتهم إلى تدوين الفقه الهندوسي من أحكام الطهارة والعبادة والمعاملات والعلاقات وأحكام الزواج والفراق وغيرها. كما ظهرت كتب كتبها الرهبان والزهاد والنساك سميت كتب "إسمرتي" يعني المذكرات، المعروفة منها هي "منو إسمرتي".
- الدور الرابع: بعد امتزاج أهل الهند بالآريين، ذهبت آلهة الآريين إلى الخفاء وهم إندرا، أغني، أرونا، .. وبدأت تظهر آلهة الهند وهم : فشنو وسيفا، ومن هنا بدأت حركة التصنيف للحمد والثناء على الآله الجديدة.
- الدور الخامس: تأليف كتب الملاحم والحروب، وعن الزعماء الآريين الذين خاضوا الحروب الطاحنة ضد أعدائهم إلى أن تمّ لهم النصر، وهذه الكتب هي: مهابهارات، كيتا، رامايانا. وقد صارت هذه الكتب من الكتب الشعبية وكثر الاهتمام بها في المجتمع الهندوسي[1].

1_ 2- عقائد الديانة الهندوسية:

تُبدي الهندوسية تحررا واضحا من أي دغمائية تتعلق بطبيعة الإله، وجوهر الدين لديها لا يقوم على الاعتقاد بوجود الإله من عدمه، أو على تعدد الآلهة أو التقائها في واحد. فمن الممكن للهندوسي أن يكون ملتزما بدينه سواء آمن بإله واحد أم بآلهة متعددة أم لم يؤمن بالآلهة أصلا، لأن المسألة لم تشكل حجر زاوية للديانة الهندوسية. لكن الطوائف الهندية تشترك في عدد أساسي من الأفكار والمعتقدات التي لا يصح دين الهندوسي بغيرها، والتي ترقى إلى مقام اليقين المطلق. أول هذه المعتقدات ورأسها هو الإيمان بتناسخ الأرواح، يتبعه اعتقاد آخر مرتبط به أشد الارتباط هو معتقد الكارما، ذلك أن الحالة الجديدة التي تصير إليها الروح بعد موت الجسد تتوقف على طبيعة أفعالها في الحيوات (جمع حياة) السابقة، التي تتالت عبر ماض لا تعرف له بداية وتتالي عبر مستقبل لا تنظر له نهاية.

والكارما تعني في الأصل الفعل، ومن هنا يأتي مضمونها الفلسفي الديني، ذلك أن حياة الإنسان هي سلسلة من الأفعال التي تؤدي إلى نتائج، هذه النتائج بدورها سوف تؤدي إلى أفعال أخرى في سلسلة سببية متتابعة. وينص قانون الكارما على أن تصرفات الفرد وأفكاره وكلماته سيكون لها تبعات أخلاقية تحدد مستقبل حياته بعد الممات، كما يتحدد مسار حياته الحالية بما تمّ من أفعال في الحياة السابقة، وهكذا إلى أجل غير معلوم، في دورة سببية أزلية تدعى في اللغة السنسكريتية سمسارا، وهي دورة لا بداية لها ولا نهاية تتجاوز عالم الإنسان لتطال عالم الظواهر المادية بأكمله، والزمن نفسه عبارة عن عجلة تدور على نفسها، كلما بلغت الدورة منتهاها عادت إلى نقطة البداية دون أن تنشد غاية أو تسعى إلى هدف، ومع ذلك فإن الإنعتاق أو موكشا من هذه الدور

[1] _محمد ضياء الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، المرجع السابق، ص ص 531_533.

ممكن التحقيق، وهو بؤرة الحياة الدينية للهندوسي والنهاية التي يطمح إليها من كدحه الروحي[1].

إلا أن الطوائف الهندوسية تختلف في كيفية تحقيق هذا الإنعتاق وفي الحالة التي تصير إليها الروح المتحررة بعد انعتاقها. من هنا، يدعو الهنود دينهم بالدهارما الخالدة، أي سنّة الكون الأبدية. وهذه السنّة تعني من جهة القانون الأخلاقي الذي نصت عليه الشرائع في الأسفار المقدسة للديانة الهندوسية، ومن جهة أخرى القانون الأبدي الثابت الذي يحكم الكون برمته. وبهذا المعنى الثاني تتطابق سنّة الكون مع ما نفهمه اليوم من مصطلح القانون الطبيعي الذي تجعل منه العلوم حقلا لدراستها، ولكن مع فارق هام وهو أن هذا القانون الطبيعي لا يقوم بذاته في الفكر الهندوسي وإنما يستند إلى مستوى أعمق للوجود، هو الأرضية غير المتغيرة لكل عرض متغير، ويدعى براهمن: القاع الكلي غير المشخص للوجود الذي صدر عنه كل ما عداه من الناس والآلهة ومظاهر المادة. وفي حال الكائنات الحية من بشر وآلهة ومن كل ما يدب ويزحف على الأرض أو يطير في الهواء، فإن لها نفسا تدعى أتمان، هي تلك النفوس الفردية الموزعة بين الخلائق، وفي الوقت ذاته هي النفس الكلية المنبثقة من براهمن. فالنفوس رغم تباينها الظاهري هي في حقيقة الأمر نفس واحدة، وإلى هذه النفس الواحدة ترجع النفوس المتحررة المنعتقة لتذوب فيها. وبهذا يتحصل لدينا ستة مفاهيم أساسية في المعتقدات الهندوسية[2] هي:

سمسارا، الدورة السببية الكبرى والعالم الذي تتناسخ فيه أرواح الكائنات الحية وأرواح الآلهة.

كارما، الفعل وتبعاته الأخلاقية.

دهارما، السنّة الكونية.

موكشا، الإنعتاق من الدورة السببية.

براهمن، اللا تغير الأبدي والقاع الكلي للوجود.

أتمان، النفس المتجزئة والنفس الكلية أيضا.

1_3- مفهوم التعصّب الدينـــي:

التعصب هو من أكثر المواضيع إثارة للجدل وأكثرها حساسية بالنسبة للشعوب، لذا فإن أغلب من قاموا بتعريفه اتفقوا في كثير من الجوانب أهمها: هو محاولة طرف من الأطراف تهميش الآخر وإخراجه من دائرة الجماعة الإنسانية. ويعرّف أيضا: "التعصب الديني هو مصطلح لوصف

---

[1] ـــ فراس السواح، دين الإنسان، ط4، دار علاء الدين، دمشق، سورية، 2002م، ص ص 253، 254.

[2] ـــ المرجع نفسه، ص ص 254، 255.

التمييز على أساس الدين ـ بمعنى تمييز يقع على المجموعات المختلفين عن غيرهم في الدين ـ وهو إما بدافع تعصب المرء الخاص بالمعتقدات الدينية أو التعصب ضدّ الآخر. كما يمكن أن يكون جزءا رسميا من عقيدة خاصة لدى جماعات دينية. كذلك التعصب الديني يمكن أن يكون إدّعاء بتمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى. وقد يكون التعصب الديني ديني بحت، ولكن يمكن أن يكون"غطاء قصة" لدافع سياسي أو ثقافي كامن"[1].

"كما يعرّف التعصب الديني بأنه الحكم المسبق بشأن جماعة معينة أو فئة من الناس والذي غالبا ما يكون سلبيا، والسعي لتطبيق هذا الحكم بالمشاعر والسلوك. كذلك يعرّف بأنه النزوع للتطرف بالأفكار والمعتقدات والتي يصعب تغييرها والتي تكون موجهة لطرف ما ومشبعة بالانفعال"[2].

2_ أسباب التعصّب الديني في الهند والنظام الأخلاقي في الديانة الهندوسية

2_1- أسباب التعصّب الديني في الهند:

كما نعلم أن الهند هي بلاد الأديان ومختلف الطوائف، من هندوسية وبوذية وجينية ومسيحية وإسلام، حتى بالنسبة لأولئك الهندوس فنجدهم مختلفين في ولائهم لآلهة كثيرة ومتنوعة. فكان ولا يزال المجتمع الهندي رغم هذا التنوع يعيش في تعايش منذ عدة قرون. لكن ورغم ذلك فقد عاشت الهند أوقات صعبة كان التعصب الديني أسوأها.

يقول أحد علماء النفس الاجتماعين "أن التعصب الديني لا يظهر إلا في ظل تأزمات فكرية، ويكون هو من تجليات هذا التأزم، لأن التعصب الديني لا ينشأ من الدين وإنما من الفكر المتعلق بالدين، لهذا فإن معالم التأزم الفكري هو مدخل لمعالجة التعصب الديني"[3]. وهذا بالفعل ما أحدثته الأزمات الطائفية والعرقية التي وُلدت من رحم التعدديات ودعوات الانفصال من قِبل الأقليات المتعددة في دولة الهند، مثال ذلك ما عاشته قبل استقلالها عام 1947، فذلك العام

---

[1]_ الموسوعة الحرة، ويكيبيديا. في 11-3- 2015، 13:14.

[2]_ رياض عزيز عباس، التعصب الديني لدى الأوروبيين، مستخلص بحث، قسم الأنثروبولوجيا التطبيقية، جامعة المستنصرية، العراق، ص7.

*_ ولد غاندي سنة 1869م، اسمه الكامل موهانداس كارم شاند غاندي، كان غاندي يعتنق مذهب الأهْمسا أي الامتناع عن قتل الكائنات الحية بكافة أنواعها. نقلا عن: قصة الحضارة، المرجع السابق، ص ص 435- 489.

[3]_ جون دكت في كتابه علم النفس الإجتماعي والتعصب، جريدة عكاظ السعودية، نشر في 02_**11**_2010.

شهد انفصال جزء عزيز عليها هو الإقليم الغربي من البنجاب الذي سمي بعد ذلك بالباكستان. ومع مرارة الانفصال كانت هناك أحداث عنف ومذابح وقعت بين مواطني البلد، ثم اغتيال الماهاتما غاندي* رجل الهند الأعظم في القرن العشرين، بعد أن دعا الهندوس إلى محاولة العيش بسلام مع المسلمين، كما لم تواجه البلاد أياما صعبة كالتي عاشتها قبل وأعقاب الصدمة التي نجمت عن اغتيال زعيمة الهند الراحلة أنديرا غاندي، فموتها كان موتا لهند اللاعنف ـ الفكرة التي كانت تُحاول الرئيسة تجسيدها في الواقع ـ والمشاكل الكبيرة التي تفجرت إثر اغتيالها[1].

وبإطلاعنا على النصوص المقدسة للديانة الهندوسية لا نجد فيها ما يحث على العنف أو إيذاء الغير أو حتى التبشير بالديانة، فالهندوسية لم تخرج من القارة شبه الهندية، والتعصب الذي ظهر في الهند من طرف الهندوس ضد أتباع الأديان الموجودة في البلد هو نتيجة الفهم المغلوط للنصوص المقدسة. نذكر مثلا من الفهومات المغلوطة قضية تعصب الهندوس ضد المسلمين بسبب ذبح البقرة، وكما نعلم أن البقرة هي حيوان مقدس لديهم لدرجة العبادة، من جهة المسلمين كانت حيوان يجوز لهم ذبحها، فكان أن حدثت مجازر بين الطرفين بسبب هذه القضية راح ضحيتها الآلاف من المسلمين والهندوس كذلك.

وما عزز التعصب الهندوسي ضد أصحاب الطوائف الدينية غير الهندوسية، ظهور توترات دينية كثيرة داخل البيت الهندي منذ النصف الثاني من عام 1982 حين اعتبرت أزمة إقليم البنجاب والأكثرية السيخية فيه واحدة من أكبر الأزمات التي أدت إلى تعصب الهندوس ضد إخوانهم السيخ، ويُعتبر عام 1984 عام القضية السيخية في الهند، فخلاله وقبل حدثيْ دخول الجيش الهندي للمعبد الذهبي السيخي واغتيال الزعيمة غاندي، أخذت علامات الاستفهام لمستقبل طائفة السيخ تكبر يوميا مع تصاعد حوادث الاقتتال الطائفي بين الهندوس والسيخ في مقاطعة البنجاب من جهة وارتفاع أصوات متطرفي السيخ في الإصرار على النضال السياسي من أجل تأسيس دولة السيخ المستقلة خالستان من جهة أخرى[2].

أما في الوقت الحاضر، نجد "الهند للهندوس" الشعار القديم للهندوس، يظهر مجددًا، تحميه حكومة هندوسية متطرفة، رئيسها "ناريندرا مودي" لها باع طويل في اضطهاد المسلمين. فلا عجب أن

---

[1] ـ همام هاشم الألوسي: السيخ في الهند صراع الجغرافية والعقيدة، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2001م، ص ص 13، 14.

[2] ـ همام هاشم الآلوسي، السيخ في الهند، المرجع السابق، ص 14.

تخرج علينا في القرن الحادي والعشرين حركة هندوسية، مقربة من الحزب الحاكم في الهند، وتقوم بإجبار المسلمين والمسيحيين على اعتناق الهندوسية، وهو ما أثار جدلا واسعا في هذا البلد. وقال رئيس الحركة إن الهند "أمة هندوسية" وتم إرغام الكثير من الهندوس على اعتناق ديانات أخرى.

وتعهد موهان بهاجوات، رئيس حركة "راشتريا سوايامسيواك سانغ"، وهي أقوى الجماعات الهندوسية في الهند، بمواصلة حملة لدفع المسلمين والمسيحيين للتخلي عن دياناتهم وإقناعهم باعتناق الهندوسية استمرارا للجدل الدائر حول هذه المسألة الحساسة، والتي أدت إلى تعطل أعمال البرلمان وهددت برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي يتبعه رئيس الوزراء ناريندرا مودي. وقال بهاجوات إن الهند "أمة هندوسية" تم فيها إرغام الكثير من الهندوس على اعتناق ديانات أخرى. وتمثل حركته الجناح العقائدي لحزب رئيس الوزراء. وصرح بهاجوات في كلمة ألقاها قائلا "سنعيد من ضلوا الطريق إلى سواء السبيل. فهم لم يذهبوا من تلقاء أنفسهم ،بل تم إغراؤهم للذهاب." وجاءت تعليقاته بعد أن قال حزب "بهاراتيا جاناتا"، الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء مودي، إنه لا يؤيد إرغام الناس قسرا على ترك دياناتهم واعتناق ديانات أخرى ودعا إلى إصدار قانون لمنع هذه العملية[1]. ورغم ما هو معروف من خصوصية هندية تتمثل في تمسك الفرد الهندي تمسكا شديدا متطرف في أحيان كثيرة بمعتقده الديني، يتفاوت في درجاته بتفاوت ثقافة أتباعه إلا أن تغيرات الظروف من جهة والأحداث الطائفية من جهة أخرى تلعب دورها الفاعل في تغيير نظرة أبناء طائفة دينية تجاه أبناء الطائفة الأخرى. ولأن السيخ هم أصلا من أتباع المعتقد الهندوسي قبل تأسيس ناناك للمعتقد السيخي وتبشير تعاليمه التي اعتنقها العديد من الهندوس، الأمر الذي أبرز الخلافات لأول مرة بين طائفة الهندوس والأتباع الجدد للمعتقد السيخي، واستمر الخلاف إلى أن جاءت فترات شهدت تلاحما بين أبناء المعتقدين كما جاءت فترات اشتد فيها الخلاف بينهم إلى حد قيام المتطرفين في كل من المعتقدين بتصفية خصومهم في الجهة الأخرى، غير أن نظرة غلاة الهندوس وخصوصا البراهمة تجاه السيخ بقيت ثابتة وهي عدم الاعتراف بالمذهب السيخي واعتبار أبناء السيخ جزءا لا يتجزأ من طائفة الهندوس. وهذا ما رفضه ويرفضه أتابع المعتقد السيخي لأن عقيدتهم تؤمن بإله واحد وهذا عكس الهندوس الذين يؤمنون بتعدد الآلهة، بالإضافة إلى الاختلاف فيما بينهم في الكتب المقدسة، مع العلم أن في الكتاب المقدس للسيخ يحمل بعض تعاليم هندوسية. إن الخلاف بين الهندوس والسيخ لم يتفجر سابقا بالحجم الذي وصل إليه في

[1] صحيفة الأمة: مقال بعنوان: الهند للهندوس، نشر في 21-12-1014.

السنوات الأخيرة، وخير شاهد على ذلك التصفيات الجسدية التي قام بها متطرفو السيخ ضد الهندوس والعكس، خاصة في الولايات الحساسة التي تضم أبناء الطائفتين، كما أن التصفية الجسدية للسيخ من قبل الهندوس المتطرفين عقب اغتيال السيدة غاندي تعتبر شاهدا إضافيا على ذلك[1].

أما من حيث التقسيم الديني للهنود نجد أن أغلب سكان الهند البالغ عددهم 1.3 مليار نسمة من الهندوس، ويقترب تعداد مسلمي الهند من 300 مليون كما توجد بين سكانها نسبة صغيرة من المسيحيين. وعلى صعيد متصل لم يسلم أهل الديانة المسيحية من الاعتداءات الهندوسية، ليكتمل شعار "الهند للهندوس" بالقضاء على الإسلام والمسيحية، وخلال الشهور الماضية يتزايد التوتر والمواجهات باعتداءات الهندوس على المسيحيين في ولاية تشهاتيسغاره، الواقعة في وسط الهند، بخاصة في منطقة باستار. ويبدو أن معالم الصورة قد بدأت تكتمل، وأن حزب بهارتيا جاناتا بقيادة رئيس وزراء الهند ناريندرا مودي يدعم تنامي موجة جديدة من التعصب الديني، من باب العودة إلى الدين الهندوسي على اعتبار أن المسلمين والمسحيين قد ضلوا الطريق ولا بد من عودتهم إلى حظيرة الهندوسية مرة أخرى[2].

مما سبق نجد أن التعصب الديني في الهند سببه بالدرجة الأولى السياسية ولا علاقة للدين في ذلك، فعندما تعلق الأمر بمن يملك الأرض ومن يكون صاحب السلطة ظهرت إلى السطح مشكلة المعتقد والدين.ما أثار مثل هذه القضايا الحساسة في البلد.

2_2- النظام الأخلاقي في الهندوسية:

تدعو الهندوسية إلى كثير من الفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وتنهى عن كثير مما ينهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبغي. وتقوم أخلاقها الإيجابية على عشر دعائم أساسية هي الوصايا العشر للدين الهندوسي، وهي: مراعاة الكائن الإلهي ومقابلة الإساءة بالإحسان، والقناعة، والإستقامة، والطهارة، وكبح جماح الحواس، ودراسة الفيدا، والصبر، والصدق، واجتناب الغضب.

ويذكر البيروني في صدد هذه الدعائم رواية أخرى لا تختلف كثيرا عن هذه الرواية إذ يقول: "والسيرة الفاضلة وهي التي يفرضها الدين وأصوله، بعد كثرة الفروع عندهم، راجعة إلى جوامع عدة

---

[1] _ همام هاشم الآلوسي، السيخ في الهند، المرجع السابق، ص 88.

[2] _ صحيفة الأمة، المقال السابق.

هي ألا يقتل، ولا يكذب، ولا يسرق، ولا يزني، ثم يلزم القدس والطهارة، ويديم الصوم والتقشف، ويعتصم بعبادة الله تسبيحا وتمجيدا، ويديم إخطار"أوم"، التي هي كلمة التكوين والخلق، على قلبه بدون التكلم به". ومن أهم الرذائل التي تخصها أسفارهم بالذكر وتحدد مكان مرتكبيها في جهنم، الكذب وشهادة الزور وسفك الدم بغير حق والاستهزاء بالناس وغصب حقوقهم والسرقة وخاصة سرقة الذهب، وقتل البقر، والزنا، والاحتيال والغدر، وعقوق الآباء والأجداد، والشح والبخل على النفس، وإخفاء المال طمعا في صلات الأمراء وإحراق بيوت الناس وقطع الأشجار وتقصير الأمراء في واجباتهم نحو رعاياهم[1].

وقد عنى بتوضيح نظامهم الخلقي والعمل على تهذيبهم وحضهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل كثير من فلاسفتهم، من أشهرهم "كرشنا" الذي ولد سنة 480 ق م. وقد أُثرت عنه نصائح وحكم كثيرة منها:"إنّ كل من استطاع التغلّب على الغضب والبغض والخوف، والتمس مرضاة ربّه، فستنعكس في قلبه معرفة الله، فالنجاة ليست في حاجة أبدا إلى العبادات والطقوس والمراسيم، وإنما تحصل بعد التغلب على البغض والخوف والغضب، فمجرد العبادة والطقوس تفرق بني الإنسان إلى شيع وطوائف، وتقيم بينهم جسرا من التعصّب".[2]

ما قاله كريشنا في هذه الفقرة يعبر عن إنسانية عظيمة مؤمنة بالإنسان كإنسان له الحق في العيش الكريم المليء بحب الخير للغير والإحساس بالأمان معه.

3_ نصوص مقدسة وممارسة تطبيقية في الهندوسية لحل مشكلة التعصب الديني

3_1– نصوص باجافادجيتا:

يعدّ من أهم الكتب الهندوسية، وكان له أثر عميق في التفكير الهندي، وهو يشمل على تعليقات ونصائح ألقاها البطل الهندوسي كرشنا أمام قائد الجيش أرجن، فمن جملة النصائح ذكر وظائف الجيش ألا وهي الدفاع عن الوطن حتى ولو كان المحاربون من أقرب الأقربين وهي تسمى بالحرب المقدسة. وفيه التأملات في الذات الإلهية إذ أن كرشنا حسب زعمهم كان أفْتار برهما، أي

[1] _ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1964م، ص ص 180، 181.

[2] _ كمال سعفان: معتقدات آسيوية، ط1، دار الندى، مدينة نصر، مصر، 1999م، ص223.

أنه الإله الذي نزل إلى الأرض بصورة بشر، وفيه تعليمات لحصول النجاة بالطرق الثلاث: طريق العلم، طريق التعبد، وطريق العمل.

أما طريق العلم فهو أن ترى جميع المخلوقين في الروح الأعلى، والروح الأعلى في جميع المخلوقين، فإذا وصلت إلى هذا العلم ترفع عنك التكاليف الدينية. الحديث هنا عن وحدة الوجود.

وأما طريق التعبد فهو أن تعبد الله وتفني حياتك في عبادته، فالمقصود أن تغذي نفسك في هذا السبيل لاغير.

وأما طريق العمل فهو أن تمكث في الأرض وتؤدي الواجبات الدنيوية بدون تطلع إلى ثمراتها، حتى تتطهر نفسك من جميع العلائق وتسمو إلى الملأ الأعلى، وهنا تتحد بالجزء الأكبر[1].

ويعتبر كريشنا طريق التعبد هو الأعظم لأنه يوحد الإنسان بالحقيقة القصوى. ولا يستطيع أحد أن يأتي عملا حسنا ما لم يتأمل فيه أولا ويستلهمه خلال الصلاة.

أما طريق العمل فيكشف للإنسان أن العمل الصحيح هو العمل من دون انتظار أي ثمرة أو نتيجة أو مكافأة، لكنه تأدية الواجب لا لشيء سوى كونه واجبا. ويصف كريشنا المنافع الروحية لطريقة اليوغا، وهي رياضة نفسية تمكن المرء من رؤية كل شيء و كل عمل في سياقه الصحيح، كما لو كان من فعل الروح المطلق براهمان الذي هو مبدأ كل شيء[2].

إن صلب رسالة الباجافادجيتا هو الاستسلام التام والإيمان الكامل كطريق إلى الخلاص الأخير والإنعتاق الأكبر: "أعطني قلبك، اعبدني، اخدمني، تعلق بي بكل إيمانك ومحبتك وإجلالك، اجعل مني ملاذك الوحيد، فأعتق نفسك من كل آثامها" هكذا نجد أن أقصى حد للتعبد والتكريس والتأمل هو رؤية الروح الكلي في كل شيء ورؤية كل شيء في الروح الكلي، والشخص الذي يحقق هذا الهدف يحيا أينما كان في الروح الكلي ويصل إلى القداسة[3].

من أهم ما جاء في هذا الكتاب حول نبذ العنف والإبتعاد عن إيذاء الغير مايلي:

_"طمأنينة برهمان قريبة المنال من الرجال الصارمين المتحررين من الرغبة والغضب، الذين قهروا تفكيرهم والذين عرفوا الذات". كرشنا هنا يوجب تخلص المريد من الغضب والرغبة لأجل حلول طمأنينة برهما فيه.

---

[1] _ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، المرجع االسابق، ص 550.

[2] _ أديب صعب: الأديان الحية، ط3، دار النهار، لبنان، 2005م، ص ص36، 37.

[3] _ نفس المرجع، ص 37.

_" اعرفني أنا المتمتع بالقرابين والكفارات، وإله جميع العوالم، صديق جميع المخلوقات المحقق للسلام". كرشنا هنا يؤكد على أن برهما هو إله الكون وإله جميع المخلوقات التي يجب عليها أن تعيش في السلام الذي يحققه لها عن طريق إتباعه.

_" أوه يا كريشنا، التقلب بالتأكيد هو الذهن المضطرب، العدواني، العنيد وأعتقد أن كبحه مهمة صعبة كالسيطرة على الرياح".

_"لأولئك الذين يعبدونني ويفكرون بي بإهتمام غير مجزأ، والمنضبطون دوما فإني أؤكد لهم حصولهم على البركة". يؤكد كرشنا دائما على أن الانضباط والالتزام بأوامر برهما هو الطريق الوحيد للتقرب منه.

_"وحتى أولئك المتكرسون لآلهة أخرى ويضحون بإيمان، حتى أولئك يضحون بي وحدي رغم أن ذلك مخالف للقوانين"[1]. هنا يذكر كريشنا من هم لا يتبعون تعاليمه بل يعبدون غيره، رغم ذلك فهو لا يخرجهم من دائرة حفظه لهم لأنهم _كما قال سابقا_ هو إله كل المخلوقات.

_" الصبر، الصدق، كبح الذات، الهدوء، السعادة، الحزن، الوجود، العدم، الخوف، الجرأة، **عدم الإعتداء**، الإحسان،.. جميعها حالات وجودي أنا وحدي مصدرها". هي صفات إنسانية أكثر منها دينية لأنه بموجب أننا بشر جميعا نعيش في هذا الكون، يجب أن نتعلمها لنتعايش بها، وهي _يقول كريشنا_ نابعة منه وحده خالق الكون، فمن اتبعه نال هذه الصفات.

_" اللاعدوانية، الصدق، التحرر من الغضب، السلام، الرأفة بالموجودات، الإعتدال والثبات".

_" التفاخر، الكبرياء، الغرور الذاتي، الغضب، العجرفة والجهل هي ثروة من ولد في الطبيعة الشيطانية".

_" و مدخل الجحيم يضم ثلاث بوابات هي: تدمير الذات، الرغبة، والغضب، لذا يجب هجران هذه الثلاثة"[2]. هنا كريشنا يؤكد على أن هذه الصفات تؤدي بالإنسان إلى الجحيم كجزاء على اقتراف ما كان منهي عنه.

من خلال ما جاء ذكره في الكتاب، يمكن القول أن الباجافادجيتا له الأثر الكبير في نفوس الهندوس، خاصة وأن كريشنا دعا فيه إلى المساواة بين الناس، رجالا ونساء، فقراء وأغنياء، فلا طبقات ولا فوارق في المجتمع.

---

[1] _ شاكوانتالا راوا شاستري: باجافادجيتا الكتاب المقدس الهندي، تر: رعد عبد الجليل جواد، ط1، دار الحوار، سورية، 1993م، ص ص 60_61_67_85_86.

[2] _ الكتاب المقدس الهندي، ص ص 89_125_127_128.

إن كريشنا في هذه النصوص دعا إلى العمل الإيجابي والجهود المتفانية في الحياة. وذلك لأن نظام هذا الكون مبني على العمل ، وفي نفس الوقت عارض الرغبات والأماني والشهوات والتي يؤدي الكثير منها إلى مختلف أنواع الصراع بين البشر. بمعنى أنه دعا إلى العمل لخدمة كل الإنسانية والإبتعاد عن الأنانية والشهوات الفردية.

3_2– فلسفة اليوغا:

تشتهر الهند بالإحترام الكبير الذي تكنّه لمن ينشد الحكمة، وبإجلالها وتوقيرها للحكماء. وتتخذ الحكمة العملية المتراكمة في الهند شكل ترويض النفس"اليوغا" الذي يهدف إلى تحقيق التكامل المطلق للحياة. ولكي يُتاح هذا الترويض للنفس لكل الأشخاص، فإنه يتم توجيهه عبر نشاطات العبادة والتفاني، ونشاطات العمل، ونشاطات المعرفة والتركيز. ودروب ترويض النفس هذه هي الحكمة الفلسفية التي تناهت عبر العصور، وقد وضعها الناس موضع الممارسة[1].

فاليوغا إذاً علم يستهدف إعادة التوازن الكامل للإنسان، جسدا أو عقلا أو روحا، كما تشمل على نظام علمي قديم دونه العلماء الهنود القدماء لكي يثير في الإنسان القدرات الكامنة في كونه إنسان وكي يرتقي تدريجيا ليسمو فوق آلام الجسد والقلق والفراغ الروحي، ويتقدم بخطوات ثابتة للقاء ربّه[2].

وقد وردت اليوغا للمرة الأولى في الأبانيشاد، ثم تطورت بعد ذلك على يد العديد من النساك الهندوس، تقوم على خطوات أولها قتل شهوات النفس، ثم المثابرة على النظافة الجسدية والهدوء والدرس والصلاة والجلوس في وضع معين مع التنفس المنتظم وإشاحة النظر عن المحسوسات والتركيز على فكرة واحدة إلى حد الإقتراب من اللاوعي. بعد ذلك يكون العقل قد فرغ من كل محتوى، فينجذب إلى المطلق ويتحد معه. هكذا تكون نتيجة اليوغا تحرير النفس من العالم الخارجي والسببية الطبيعية والقيود الأرضية.

هناك كتاب خاص باليوغا هو اليوغا فاسشتا الذي يعتبر من أمهات الكتب الهندوسية، ومؤلفه مجهول كسائر الكتب المقدسة لدى الهندوس، ويرجع تاريخ تأليفه إلى القرن السادس وما بعده قبل الميلاد، وهو العهد المعروف لدى الهندوس لتأليف كتبهم إذ انتهى الآريون من حروبهم الطاحنة. وبدأوا ينظمون حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية، كما بدأ علماؤهم بتأليف الكتب الدينية

---

[1] _ جون كولر: الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، ط1، علم المعرفة، دم ن، 1995م، ص 20.

[2] _ ب.ك.نارايان: فلسفة اليوغا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات الجامعية والتوزيع، دم ن، 1987م، ص7.

على نمط القصص الروحانية ومنها دروس فلسفية، لاهوتية وأخلاقية. وهذا الكتاب يحتوي على أربعة وستين ألف بيت، وكان الراهب"فاسشتا" يعلم تلميذه البار"رام جندرا" العلوم اللاهوتية، والعلوم الروحانية وعلوم المراقبة التي توصل الإنسان إلى العالم الروحاني والملأ الأعلى حتى يتصل ب"برهما". هذا الكتاب فيه ثلاث طرق لليوغا:

أحدها: الإعتقاد بالوحدة، وهو أن يرى أن برهما هو وحده في العالم.

ثانيها: طمأنينة القلب، وهو أن يقهر نفسه حتى تكون تابعة له، ومن صارت نفسه نفسا مطمئنة فكأنه نجا من الآلام والمصائب الدنيوية التي تعترض كل إنسان.

ثالثها: مخالفة النفس، لأن هذا الكتاب يصور الحياة كأنها مليئة بالخطايا والذنوب والرغائب النفسية التي تجر الإنسان إلى الهلاك والزوال، فتقع البشرية في أحزان وآلام مستمرين إلى أن تختار النفس إحدى الطرق الثلاثة لتنتهي من هذه الآلام والأحزان، وتحصل للإنسان حياة سرمدية مليئة بالمسرات والأفراح، وذلك باتصال النفس بالبرهما"عالم الملكوت"[1].

كما توجد عدة وسائل لتحقيق الذات، كان أهمها طريقة الرجا يوغا التي تعتبر نسق متناغم من النظام الفيزيائي والروحي، وبواسطتها يتم الإنسان قادرا على إتقان نشاطاته البدنية والعقلية. فالجانب الفيزيائي يسمى هاتا يوكا، والجانب الروحي يسمى راجا يوغا. أهم مرحلة في الرجا يوغا هي المرحلة الأولى" الياما" التي توجب عدم القتل أول ما يجب أن يلتزم به الممارس لليوغا، فالياما تعنى بالسيطرة على النفس، كما تتمحور الياما الإمتناع عن التعرض بالأذى للحياة لأنها أهم شيء، فهي مقاومة لأفكار الشر والسلوك الدنيء. ومن الناحية الأخلاقية الإيجابية تتلخص الياما في:

_ نبذ العنف: أهيما ahima

_ الأمانة: أستيا asteya

_ التحكم في رغبات الجسد: براماكاريا brahmachary

[1] _ محمد الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، المرجع السابق، ص ص 560، 561.

ومن أجل أن يصبح الذهن مستقرا لا بد من إبعاده عن التفكير في الخطايا والجرائم والاستعداد الفطري للشر. لهذا يكون الإنسحاب الكامل من مجريات الشر واتجاهاته في الحياة أحد أهم الركائز الأساسية للخطوات اللاحقة في اليوغا[1].

فمن خلال ممارسة اليوغا يكسب الإنسان أهم قدرات جبارة ، أهمها السيطرة على النفس وبالتالي الإجتناب الكامل لإيذاء الغير أو معاداته لأن هذه الممارسة التأملية تستدعي ذلك.

نتائج البحث:

- ✓ _ ظلت الهندوسية ديانة قومية لم تعم العالم، إلا أنها تميزت إجمالا بالتسامح وحملت في نفسها عناصر الدين الشامل.
- ✓ _ ظهر في الهندوسية حركات متعصبة منها منظمة الخدمة القومية التي دعا أعضاؤها إلى جعل الهندوسية ديانة الدولة وجعل الهند دولة هندوسية. وقد قتل غاندي عام 1948م على يد مسلح من هذه المنظمة كما شهدت الهندوسية حركات تناهض التحول إلى دين آخر.
- ✓ _ رغم أن الدين الهندوسي دين منفتح على بقية الأديان، إلا أن التعصب المقيت نجده شائعاً عند الهندوس. ويكفي أن نذكر أن غاندي وبسبب اعتقاده بضرورة مساواة الهندوس مع المسلمين، قد أضمر له جماعة من الهندوس العداء، الأمر الذي حدا بأحد أعضاء هذه الجماعة إلى أن يطلق النار عليه ويرديه قتيلاً.
- ✓ _ رغم أن الهندوسي له تربية روحية جد سامية إلا أنه وقع في المحظور، وذلك بسب ابتعاده شيئا فشيئا عن الروحانية الموجودة في الدين وتأثره بالمادية الغربية.
- ✓ _ الأمر المميز في الهند أنه رغم تعدد الديانات واللغات والأعراق، فإن الأعياد الدينية في هذا البلد تشكل عامل وحدة وتقارب بين مختلف أطياف المجتمع الهندي، عاكسة ذلك التنوع الثقافي الذي تكتسب منه شبه القارة الهندية تماسكها ووحدتها وقوتها، فرغم أن الهند دولة علمانية إلا أنها في احتفال طوائفها بمختلف الأعياد الدينية لا زالت بعيد نوعا ما عن النزعة المادية، التي ما إن تشيع في مجتمع إلا ويكون لها آثار جد سلبية عليه.

[1] _فالح شبيب العجمي: صحف إبراهيم، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م، ص 126_127_128.

- ✓ _ لم تكن الهندوسية مجرّد ديانة، وإنما كانت طريقا للحياة التي تنظم حقوق أتباعها وواجباتهم الروحية. وهي تحاول اليوم، أن تكون مصدرا للتقاليد القديمة والعقائد والعبادات والتأملات الروحيّة في الله والكون والطبيعة، وتحاول أيضا توفير القيّم السامية والآداب والسلوك والأخلاقيات البشرية المختلفة لأتباعها والمعجبين بتعاليمها.
- ✓ _ كان المهاتما غاندي من دعاة المساواة فيما بين الهندوس من خلال تأسيسه جماعة خدمة المنبوذين، ما أدى بالدستور الهندي الحديث إلى التسوية بين جميع مواطني الهند في الحقوق والواجبات فلا فرق بين البرهمي والمنبوذ.
- ✓ _ يعد المهاتما غاندي رمز السلام بين الناس خاصة الهندوس والمسلمين، عاش ليحارب فكرة العنف التي قال عنها بأنها حلقة مفرغة لأن العنف يجلب فقط العنف المضاد، وقد دفع حياته في سبيل ذلك.
- ✓ _ نالت رياضة اليوغا وفلسفتها في الحياة شعبية كبيرة خاصة في الأوساط الغربية لأن معظم أسسها موضوعية وعلمية أكثر منها دينية أي غير مرتبطة كثيرا بالعقائد.

قائمة المصادر والمراجع:

_ شاكوانتالا راوا شاستري: باجافادجيتا، الكتاب المقدس الهندي،ترجمة:رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 1993م، ط1.

_ أديب صعب: الأديان الحية، دار النهار، بيروت، لبنان، 2005م، ط3.

_ أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1984م، ط1.

_ أحمد علي عجيبة: دراسات في الأديان الوثنية، دار الآفاق العربيةن مصر، 2004م، ط1.

_ فالج شبيب العجمي: صحف إبراهيم، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م، ط1.

_ فراس السواح: دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، سورية، 2002م، ط4.

_ محمد ضياء الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2003م، ط1.

_ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1964م، ط1.

_ ول ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، ترجمة زكي نجيب محمود، ج3، مج 1، بروت تونس

_ همام هاشم الألوسي: السيخ في الهند صراع الجغرافية والعقيدة، ط1، 2001، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر.

_ رياض عزيز عباس، التعصب الديني لدى الأوروبيين، مستخلص بحث، قسم الأنثروبولوجيا التطبيقية، جامعة المستنصرية، العراق.